﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾ [المزّمّل: 10 - 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قبلَهُما:

معاملةُ الله والخَلْق بالمَنهَجِ الحسَن والفِعل الحَقِّ

أمّا مناسبةُ الآيةِ الأولى لِما قبلَها؛ ففيها وجهانِ:

أحدُهما: أنَّ مهمّاتِ العبادِ محصورةٌ في أمرَيْنِ: كيفيَّةِ معاملتِهم مع اللهِ، وكيفيَّةِ معاملتِهم مع الخلقِ، والأوَّلُ أهمُّ مِنَ الثّاني، فلمّا ذكرَ تعالى في أوَّلِ هذهِ السّورةِ ما يتعلَّقُ بالقسمِ الأوَّلِ؛ أتبعَهُ بما يتعلَّقُ بالقسمِ الثّاني[1].

والثّاني: أنَّه لمّا كانتِ الوكالةُ لا تكونُ إلّا فيما يُعجِزُ، وكانَ الأمرُ بها في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ مُشيرًا إلى أنَّهُ لا بدَّ أنْ يكونَ عن هذا القولِ الثَّقيلِ خطوبٌ وأهوالٌ؛ قالَ تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[2]، والهجرُ يترتَّبُ على الصَّبرِ[3].

وأمَّا مناسبةُ الآيةِ الثّانية منهما لما قبلها؛ فلَمَّا أمرَ اللهُ رسولَه بالعملِ بالأسبابِ مِن الصَّبرِ والهجرِ المذكورَيْنِ؛ بيَّنَ أنَّه هو الَّذي يتولَّى أمرَه، ويكفيه شرورَهُم؛ إشارةً إلى ضرورة العمل بالأسبابِ، وعدم الاتِّكالِ؛ فاتِّخاذُه وكيلًا لا يتعاند مع الأخذ بالأسباب، بل الأخذُ بها مِن اتِّخاذه وكيلًا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ﴾: (هجر): أصلٌ يدلُّ على قطيعةٍ وقطعٍ[4]، ومِنْ ذلكَ: المُهاجرةُ مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ، أي: تركُ الأوْلى للثّانيةِ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 689.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 387.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).

والتَّهاجرُ: التَّقاطُعُ[1]، والهَجْرُ والهُجْرانُ: مفارقةُ الإنسانِ غيرَهُ؛ إمّا بالبدنِ، أو باللِّسانِ، أو بالقلبِ[2]، وهَجَرْتُهُ هَجْرًا مِنْ بابِ (قَتَلَ) قَطَعْتُهُ، والاسْمُ الهِجْرانُ، وفي التَّنْزيلِ: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: 34]، أيْ: في المَنامِ؛ تَوَصُّلًا إلَى طاعَتِهِنَّ، وإنْ رَغِبَتْ عَنْ صُحْبَتِهِ، ودامَتْ عَلَى النُّشوزِ؛ ارتَقَى الزَّوْجُ إلَى تَأْديبِها بالضَّرْبِ، فَإنْ رَجَعَتْ؛ صلحتِ العِشْرَةُ، وإنْ دامَتْ عَلَى النُّشوزِ؛ استُحِبَّ الفِراقُ[3]، ومعنى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: لا تتعرَّضْ لهم، ولا تشتغلْ بمكافأتِهم[4]، ولا تعاتبْهم[5].

2) ﴿ٱلنَّعْمَةِ﴾: (نعم): أصلٌ يدلُّ على ترفُّهٍ وطيبِ عيشٍ وصلاحٍ[6]، ومِنْ ذلكَ: النِّعمةُ، وهي الحالةُ الحسنةُ، والإنعامُ: إيصالُ الإحسانِ إلى الآخرِ[7]، والنَّعْمَةُ بالفَتْحِ اسمٌ مِنَ التَّنَعُّمِ والتَّمَتُّعِ، وهوَ النَّعيمُ، ونَعِمَ عَيْشُهُ يَنْعَمُ مِنْ بابِ (تَعِبَ): اتَّسَعَ، ولانَ، وأنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا، ونَعَّمَهُ اللهُ تَنْعيمًا: جَعَلَهُ ذا رَفاهيَةٍ[8]، والنِّعمةُ: التَّنعُّمُ وطيبُ العيشِ[9]، والتَّرفُّهُ واللَّذَّةُ في الدُّنيا، وهو المرادُ هنا[10].

3) ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾: (مهل): أصلٌ يدلُّ على تُؤَدةٍ وسكونٍ[11]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: تمهَّلَ في أمرِهِ، أي: اتَّأَدَ، ويقالُ: أمهلَهُ، أي: أنظرَهُ[12]، والمُهْلَةُ بالضم: السَّكينَةُ والرِّفْقُ، وأمْهَلَهُ: رَفَقَ به، ومَهَّلَهُ تَمْهيلًا: أجَّلَهُ، وأمْهَلَ: بالَغَ، وأعْذَرَ[13]، ومعنى: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: أنظِرْهم إلى مدَّةِ آجالِهم، أو إلى مدَّةِ الدُّنيا[14].

(1) الجوهري، الصحاح: (هجر).
(2) الأصفهاني، المفردات: (هجر).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (هجر).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 45.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 256.
(6) مقاييس اللغة: (نعم).
(7) الأصفهاني، المفردات: (نعم).
(8) الفيومي، المصباح المنير: (نعم).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).
(10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 45.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (مهل).
(12) الجوهري، الصحاح: (مهل).
(13) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (مهل).
(14) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 46.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى ذكرُهُ لنبيِّهِ ﷺ: واصبِرْ على ما يقولُ المشركونَ لكَ مِنْ نِسْبَتِكَ إلى السِّحرِ والجنونِ والتَّكذيبِ، واصبِرْ على أذاهم، واتركْ ما يعتقدونَ دونَ جفاءٍ ومعاداةٍ، واتركْ إليَّ تعذيبَ المكذِّبينَ أهلِ التَّنعُّمِ في الدُّنيا، وأخِّرْهم بالعذابِ الَّذي سيأتيهم قريبًا، حينَ يبلغُ الكتابُ أجلَهُ[1].

اللهُ تعالى يُجازي الكافرينَ على تكذيبِهم وأذاهم

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ الوصلِ ودلالةُ العَطف:

قولُهُ تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ عطفٌ على قولِهِ: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾؛ لما بينهما منَ الائتلافِ؛ لكون كلٍّ منهما إنشاءً في اللَّفظ والمعنى، ونكتةُ العطفِ: أنَّ الصَّبرَ على الأذى يُستعانُ عليهِ بالتَّوكُّلِ على اللهِ[2]، فهو من عطفِ المُسبَّب على السَّبب؛ إذ اتخاذُهُ تعالى وكيلًا حافزٌ ودافعٌ للصَّبر على ما يَقولونَ، وفي هذا إبرازٌ لعَظَمةِ ذلك الأذَى وشِدَّته.

مِمَّا يجري فيه التَّوكُّل على الله بشدَّة، الإيذاءُ العظيمُ

دلالةُ الأمرِ ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾:

الأمرُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للوجوبِ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ الصَّبرَ على أذَى المُشركينَ واجبٌ على النَّبيِّ ﷺ، ومِن ورائه أمَّتُه، وإفادةُ الوجوبِ بصيغةِ الأمر؛ لبيانِ أنَّ طلبَ تحقيقِهِ مَرغوبٌ فيه بِشِدَّةٍ؛ لكونِهِ الأبَرَّ بالمُتلقِّي.

الصَّبرُ على أذَى المُشركينَ واجبٌ يُسْعَى إليه

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالتها في ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾:

الحرفُ ﴿عَلَىٰ﴾ معناهُ: الاستعلاءُ الحسّيّ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢﴾ [المؤمنون: 22]، وهي في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للاستعلاءِ المعنويِّ، فالاستعلاءُ فيها مجازيٌّ غير

عظيمُ الإيذاء يفتقرُ إلى عَظيمِ الصَّبْر

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 689 - 690، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 256.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 268.

حقيقيٌّ، وهو يشير إلى عظمة الصَّبر[1]، وشديدِ مشقَّتِه على النَّفْس؛ بحيثُ يُحيطُ صبرُه بكلِّ أجزاءِ أقوالهم؛ وإذا كان كذلك؛ كان صبرًا عليًّا عظيمًا في نفسِه، عظيمًا في مشقَّته على النَّفْسِ، ووراء ذلكَ مِن المعنَى عِظَم الإيذاء الَّذي تشتملُ عليه أقوالُهم.

علَّة التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿مَا يَقُولُونَ﴾:

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للتَّنبيهِ بما فيه مِن عمومٍ مع ضميمة إبهامِه الشَّديد على أنَّ الواجبَ هو الصَّبرُ على جميعِ أنواعِ الأذى: مِنَ السَّبِّ والاستهزاءِ[2] والوصفِ بالسّاحرِ والشّاعرِ والمجنونِ[3]، ونحوِ ذلكَ.

الصَّبرُ مطلوبٌ على جميعِ أنواعِ الأذى

بلاغةُ المضارعِ في ﴿يَقُولُونَ﴾:

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للدِّلالةِ على استمرارِهم على قولِ ما يُؤذي النَّبيَّ ﷺ، وفي ذلكَ تعظيمٌ لجُرمِهم؛ إذ يسعَونَ باستمرارٍ في محاربةِ الحقِّ[4]، وفيه إشارة إلى تنوُّع أقوالهم المؤذية، وتعدُّدِها.

مِن عظَم الإيذاءِ تنوُّع أساليبه

سرُّ الاقتصارِ على ذكرِ القولِ:

اقتُصِرَ على ذكرِ القولِ في قولِه ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للتَّخفيفِ عن النَّبيِّ ﷺ، ومواساتِه؛ بالإشارةِ إلى أنَّهم لا يَصِلونَ إلى غيرِ الأذى بالقولِ[5]؛ إذ الجَرْحُ بالسِّنانِ يَلتئِمُ، ولكنَّ جِراحَ اللِّسانِ صَعْبُ الالتِئام.

دلالةُ العَطْف في ﴿وَٱهْجُرْهُمْ﴾:

لمّا كانَتْ مجانبةُ البغيضِ - إلّا عندَ الاضطرارِ - ممّا يُخفِّفُ مِن

الهَجرُ يعمَلُ على نِسيان إيذاءِ المَهجور نوعَ نِسيان

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 45.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 557.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.

أذاهُ؛ قالَ ﷻ: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾[1]؛ إذ كان الصَّبرُ المطلوبُ مِن المخاطَب عظيمَ المشَقَّةِ عليه؛ ففتَح اللهُ له بابَ الهجرِ؛ لأنَّه مِمَّا يُعين على تحقيق ذلك الصَّبْر.

دلالةُ الأمرِ ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ﴾:

هجرُ المشركينَ واجبٌ يُحَقِّقُ بعظيم رغبة

الأمرُ في قولِه ﷻ: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾؛ للوجوبِ، فالهجرُ الجميلُ للمشركينَ واجبٌ على النَّبيِّ ﷺ، ومِن ورائه أُمَّتُه، والإعرابُ عن الوجوبِ بصيغة الأمر بيانٌ عن كون تحقيقه مرغوبًا فيه بقوَّةٍ.

علَّة التَّعبير بـ: ﴿هَجۡرٗا﴾:

طلبُ هَجرِ المشركينَ مؤكَّدٌ

جيءَ بالمفعولِ المطلقِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾؛ لتوكيدِ الأمرِ بالهجرِ؛ حثًّا على فعلِه؛ رغبةً في حصولِ ثمرتِه النَّافعةِ للمأمورِ به وبالصَّبر، وللتَّوصُّلِ إلى وصفِه بكونِه جميلًا.

سِرُّ الوَصْف ﴿هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾:

بيانُ هَجرِ السَّادة الكُمَّلِ

وُصِفَ الهجرُ في قولِه تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ بكونِه جميلًا؛ للدِّلالةِ على أنَّ المطلوبَ منهُ ﷺ أنْ يُجانِبَهم بقلبِه وهواهُ، ويُخالفَهم في الأفعالِ، مع المداراةِ، وتركِ المعاملةِ بالمِثلِ[2]، فالهجرُ الجميلُ هو الَّذي يقتصرُ صاحبُهُ على حقيقةِ الهجرِ، وهو تركُ المخالطةِ، فلا يَقرنُها بجفاءٍ آخرَ أو أذًى، وهذا هو الألصقُ بالكُمَّلِ الَّذين رأسُهم نبيُّنا ﷺ، ولمّا كانَ الهجرُ ينشأُ عن بُغضِ المهجورِ، أو كراهيةِ أعمالِه، فكانَ مُعرَّضًا لأنْ يتعلَّقَ به أذًى مِنْ سبٍّ أو ضربٍ أو نحوِ ذلكَ؛ أمرَ اللهُ رسولَهُ بهجرِ المشركينَ هجرًا جميلًا، أي: أنْ يهجرَهم، ولا يزيدَ على هجرِهم سبًّا أو انتقامًا[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 640.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 268 - 269.

دلالةُ العَطفِ ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾:

بعدَ العملَ بالأسبابِ يأتي الفرجُ

لمّا كانَ في أمرِ النَّبيِّ ﷺ بهجرِ المشركينَ ما يشقُّ عليه، ويَعْظُمُ بما فيهِ مِن احتمالِ عُلوِّهم؛ أعلمَ سبحانه بقُربِ فَرَجِهِ بتهديدِهم بأخذِهم سريعًا، فقالَ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾[1]، وفي ذلكَ بعثٌ للطُّمأنينةِ في نفسِهِ ﷺ، وإعانةٌ له على الصَّبر والهجر المطلوبَيْنِ منه ﷺ؛ فهذه الآية مِن تمام ما قبلها.

دلالةُ الأمرِ ﴿وَذَرۡنِي﴾:

غضبُ اللهِ شديدٌ على المكذِّبينَ بالرُّسلِ الغارقينَ في نعمِهِ

الأمرُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾؛ للوجوبِ، وفيهِ تقويةٌ لدواعي التَّوكُّلِ في نفسِهِ ﷺ، ومَنْ وكَلَ أمرَ عدوِّهِ إلى اللهِ تعالى؛ كفاهُ، وفي إفادة وجوبه بصيغة الأمر تنبيهٌ على غاية الاهتمام بتحقيقِهِ إحسانًا إلى خير الخلْقِ ﷺ.

بلاغةُ الكناية في ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾:

مَن استكفَى اللهَ شرَّ عدوِّهِ؛ فقد ظفرَ

في قولِهِ تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ كنايةٌ لطيفةٌ؛ وذلكَ أنَّ الرَّجلَ إذا عرَفَ مِنْ صاحبِهِ أنَّهُ مغمومٌ بخَطْبٍ، يريدُ أنْ يُكفاهُ، أو بعدوٍّ يشتهي أنْ ينتقمَ لهُ منهُ، وهو مضطلعٌ بذلكَ، مقتدرٌ عليه؛ قالَ: ذَرْني وإيّاهُ، أي: لا تحتاجُ إلى الظَّفرِ بمرادِكَ ومشتهاكَ إلّا أنْ تُخلّيَ بيني وبينَهُ، بأنْ تكلَ أمرَهُ إليَّ، وليسَ ثَمَّ منعٌ حتَّى يطلبَ إليهِ أنْ يَذَرَهُ وإيّاهُ إلّا ترك الاستكفاءِ والتَّفويضِ، كأنَّهُ إذا لم يَكِلْ أمرَهُ إليهِ، فكأنَّهُ منعَهُ منهُ، فإذا وكلَهُ إليهِ؛ فقد أزالَ المنعَ، وتركَهُ وإيّاهُ، وفيهِ دليلٌ على الوثوقِ بأنَّهُ يتمكَّنُ مِنَ الوفاءِ بأقصَى ما يتمنّاهُ المخاطَبُ، وبما يزيدُ عليهِ، وهذه الكناية عن صفةٍ ضربٌ مِن الإيجاز، وفيها مِن الدَّلالة على إقبال اللهِ على رسوله ﷺ إقبالَ حُبٍّ وإحسانٍ ما فيها، ويجوز أنْ يكونَ الكلامُ مِنْ قَبيلِ التَّهييجِ والإلهابِ[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 640، والطيبي، فتوح الغيب: 16/ 97.

معنى الواوِ في ﴿وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾:

اللـهُ تعـالى هو المـتـولّي مُـجـازاةَ المكذّبينَ

انتصبَ قولُه: (المكذِّبين) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ على المفعولِ معَهُ، والواوُ واوُ المعيَّةِ[1]، والمعنى: فوِّضْ إليَّ أمرَهم، فإنّي في غُنيةٍ عنكَ في مُجازاتِهم، والكلامُ واردٌ على سبيلِ الكنايةِ - كما تقدَّمَ - وإلّا فلا معنى لتركِ اللّهِ تعالى مع المكذِّبينَ[2].

سِرُّ الإظهار في موضع الإضمار:

التَّكذيبُ وصفٌ قـبـيـحٌ، مـآلُـهُ الهلاكُ

الظّاهرُ أنْ يُقالَ: (وذَرْني وإيّاهم) بالإضمارِ، وإنَّما عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾؛ تعليلًا للحكمِ بالوصفِ، فالتَّكذيبُ هو سببُ هذا التَّهديدِ، وتعميمًا لهُ[3]؛ بحيثُ يشملُهم، ويشملُ كلَّ مَنْ كانَ على شاكلتِهم، ولذمِّهم بوصفِ التَّكذيبِ[4].

دلالة التَّعريف في ﴿وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾:

تهديدُ المكذِّبينَ في عـهـدِ الـنَّـبـيِّ ﷺ

تعريفُ المكذِّبينَ بـ(أل) في قولِهِ ﷻ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾؛ للعهدِ العلْميّ؛ إذ المرادُ بهِ المكذِّبونَ الَّذينَ كانوا في عهدِهِ ﷺ، أو للعهد الذِّكْري؛ لسبْقِ ذِكْرِهم في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾، والمآلُ واحدٌ، والحكمُ المُتعلِّقُ بهم صادقٌ على غيرهم في كلِّ عصر ومِصْر وجنس؛ لأنَّ العِبْرة بعموم اللّفظ، لا بخصوص السّبب؛ إذا تحقَّقت صورة السّبب، أوْ يكون التَّعريفُ للجنسِ، ويدخلُ فيهِ دخولًا أوَّليًّا المكذِّبونَ في زمنِهِ ﷺ، فهم المقصودونَ بالتَّهديدِ قصدًا أوَّليًّا، وعلى الأوَّل يكون في الكلام إظهار في موضع الإضمار، وأمَّا على الثَّاني؛ فلا، والأوَّلُ هو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 269.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 387.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 269.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 119.

الأعلى؛ لأنَّ في الثَّاني إيحاشًا له ﷺ بذِكْر أنَّ مِمَّن يأتي بعدَه في أمَّته مُكذِّبينَ غيرَ الَّذين في قومِه في وقت الخطابِ، وهذا يوحِشُه، ويغمُّه، والسِّياقُ للتَّخْفيفِ عنه بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

دلالةُ اسم الفاعل ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾:

العريقون في الكذب والتّكذيب محلُّ الغضب الإلهيّ

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِه تعالى: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾؛ للدِّلالةِ على رُسوخِهم في صفةِ التَّكذيبِ، وعَراقتِهم فيها[1]، والحكمُ الثَّابتُ في حقِّهم ثابتٌ لِمَن هو أدنى مستوًى منهم في التَّكذيب، ولو عُبِّر بما يشتمل على الفعل المُعبِّر عن المستوى الأدنى: (والَّذين كذَّبوا - أو يُكذِّبون)؛ للزم مِن ثبوت الحكم له ثبوته للأعلى بقرينة السِّياق، وإنَّما ذُكِر المستوى الأعلى في التَّكذيب؛ تناسُبًا مع الأمر بالصَّبر والأمر بالهجر؛ لأنَّ ذلك يعني عظَمَ قولِهم في باب الإيذاء والإساءة.

دلالة الوصفِ ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾:

معاشرةُ أهلِ الدُّنيا تجرُّ إلى حبِّها

لمّا ذكرَ ﷺ وصفَهم الَّذي استحقّوا به العذابَ؛ ذكرَ الحاملَ عليه؛ تزهيدًا فيه، وصرفًا عن معاشرةِ أهلِه؛ لئلّا تكونَ المعاشرةُ فتنةً، فتكونَ حاملةً على الاتِّصافِ به، وجارَّةً إلى حبِّ الدُّنيا، فقالَ: ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾[2]، وفي هذا الوصفِ أيضًا توبيخٌ لهم بأنَّهم كذَّبوا؛ لغرورِهم وبَطَرِهم بسَعَةِ حالِهم، وتهديدٌ لهم بأنَّ الَّذي قالَ: (ذَرْني والمكذِّبينَ)، سيزيلُ عنهم ذلكَ التَّنعُّمَ، وتعريضٌ بالتَّهكُّم؛ لأنَّهم كانوا يَعُدّونَ سَعَةَ العيشِ ووفرةَ المالِ كمالًا، وكانوا يُعيِّرونَ الَّذينَ آمنوا بالفقرِ[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 19.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 269 - 270.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلنَّعۡمَةِ﴾:

تعريفُ النَّعمةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾: للعهدِ الذِّهنيِّ[1]؛ إذ المرادُ بها ما كانوا عليهِ مِنَ الغنى وسَعَةِ العيشِ، ففيه استحضارٌ لأفراد ذلكَ في سياقِ التَّنفير والتَّرهيبِ مِن تكذيبهم؛ مِمَّا يجعلُهم يُفكِّرون في قضيَّةِ الإيمان والكفر.

المكذِّبونَ في رَغَدٍ مِنَ العيشِ معروفٍ

سرُّ عطفِ ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾، ونكتةُ ذلكَ: توكيدُ الوعيدِ، وبيانُ أنَّ زمانَ النِّعَمِ الدُّنيويَّةِ قصيرٌ، وأنَّ نصرةَ اللهِ تعالى لنبيِّهِ قريبةٌ سريعةٌ[2].

وعيدُ اللهِ للمكذِّبينَ متحقِّقٌ لا محالةَ

دلالةُ الأمرِ في ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ﴾:

الأمرُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾؛ للوجوبِ، فيجبُ على النَّبيِّ ﷺ تمهيلُ المكذِّبينَ إلى حينِ مجيءِ وعيدِ اللهِ تعالى لهم، وكذلك مَن كانوا رُسُلَ رسول الله إلى النَّاس، والإعرابُ عن وجوبِهِ بصيغة الأمر إرشادُ المأمورِ إلى أنْ يفعل ما طُلِب منه بغاية الرَّغْبةِ؛ لأنَّ فيه كلَّ خير له.

وجَب التَّمهيلُ عليه؛ تخفيفًا عليه

دلالة صيغةِ التَّفعيلِ في ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ﴾:

بناءُ التَّفعيلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾؛ للتَّدريج[3]، أي: اترُكْهم برِفْقٍ، وتأنٍّ، وتدريج، ولا تهتمَّ بشأنِهم[4]، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّفعيلُ لتكثيرِ المفعولِ[5]، والدَّلالتانِ لا تتعاندانِ.

التَّأنِّي في تركِ المكذِّبينَ

سِرُّ التَّقييد بـ ﴿قَلِيلًا﴾:

جيءَ بقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ قيدًا لفعل الأمر، في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ:

البشارةُ بقُربِ هلاكِ المكذِّبينَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 270.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 19، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 270.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 388.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 19.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 265، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 119.

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾؛ لزيادةِ بشارةِ النَّبيِّ ﷺ بأنَّهُ قد قَرُبَ وقتُ هلاكِهم والظَّفرِ بهم، مِن بعدِ سروره بوعيدِهم الشَّديدِ في جملة: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾، فينبغي عليهِ أنْ يكونَ مستعدًّا لحمدِهِ تعالى[1]، ودلَّ التنكير في الوصفِ على القلَّة أيضًا، فيكون التقليلُ عميقًا لقُرْبِ زوالِهم وانتصارِ دينِ الله تعالى على دينِهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(يتركُهُ) و(يَذَرُهُ):

الحثُّ على قلَّةِ الاعتدادِ بالمكذِّبينَ

التَّركُ: تخليفُ الشَّيءِ في المكانِ الَّذي هو فيهِ، والانصرافُ عنهُ، ويقالُ: يَذَرُ الشَّيءَ؛ إذا تركَهُ؛ لقلَّةِ الاعتدادِ بهِ[2]، ففيه معنًى زائد ليس في التَّرك، فعُبِّر به في قوله: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾؛ للإشارةِ إلى عدمِ الاعتدادِ بشأنِ المكذِّبينَ، فكلُّ (يذر) هو (يترك)، ولا ينعكِسُ، والعلاقةُ بينهما العمومُ والخُصوص المُطلَقُ.

النَّعمةُ والنِّعمةُ والنُّعمةُ:

قُصارى حظِّ المكذِّبينَ في الدُّنيا هو التَّمتُّعُ بنعيمها

النَّعمةُ بالفتحِ: اسمٌ للتَّرفُّهِ والتَّنعُّم، والنِّعمةُ بالكسرِ: اسمٌ للحالةِ الملائمةِ لرغبةِ الإنسانِ، مِنْ عافيةٍ، وأمنٍ، ورزقٍ، ونحوِ ذلكَ مِنَ الرَّغائبِ، والنُّعمةُ بالضَّمِّ: اسمٌ للمسرَّةِ[3].

وجعلُ المكذِّبينَ هنا ذوي نَعْمةٍ؛ للإشارةِ إلى أنَّ قُصارى حظِّهم في هذهِ الحياةِ هي النَّعْمةُ، أي: الانطلاقُ في العيشِ بلا ضيقٍ، والاستظلالُ بالبيوتِ والجنّاتِ، والإقبالُ على لذيذِ الطُّعومِ ولذائذِ الانبساطِ إلى النِّساءِ والخمرِ والميسرِ، وهم مُعرِضونَ عن كمالاتِ النَّفسِ ولذَّةِ الاهتداءِ والمعرفةِ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 19، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 388.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 766 - 768.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 689، والسمين، الدر المصون: 10/ 523.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 270.

الإرجاءُ والاستدراجُ والإملاءُ والتَّمهيلُ:

الإرجاءُ: التَّأخيرُ، والاستدراجُ: إدناءُ الشَّيءِ، وأخْذُهُ تدريجيًّا، والإملاءُ: التَّأخيرُ لمدَّةٍ طويلةٍ، والتَّمهيلُ: التُّؤَدَةُ والسُّكونُ والإنظارُ مع عدمِ الاستعجالِ[1].

التَّأنّي في انتظارِ تحقُّقِ وعيدِ اللهِ للمكذِّبينَ

وقد عُبِّرَ بالتَّمهيلِ هنا؛ للحثِّ على التَّأنّي في انتظارِ تحقُّقِ وعيدِ المكذِّبينَ، لا سيَّما وقد ذكرَ ﷻ أنَّهُ قليلٌ، وليسَ طويلًا.

(1) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 119 - 121.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"